السلسلة: الظروف الماديّة والفكريّة للعلوم في المدينة الإسلامية

الفصل 1 | العلمُ والفلسفة في العصر الهلنستيّ المتأخّر

المقال 4 | الفلاسفة السبعة الفارّون إلى بلاط كسرى

حين أُغلق بابٌ في أثينا، فُتح لهم بابٌ في إيران

في سنة 529م، تقاطع حدثان يُستخدمان غالبًا علامتين على الحدّ الفاصل بين العصور القديمة والوسطى: أصدر الإمبراطور جستنيان مرسومًا يمنع تدريس الفلاسفة الوثنيّين في الأكاديميّة الأفلاطونيّة بأثينا، ويصادر ممتلكاتهم؛ وفي العام نفسه، أسّس الراهب بندكت ديرًا على أنقاض معبدٍ وثنيّ قديم. صورةٌ مغرية للخاتمة: باب أثينا يُغلق، والفلسفة اليونانيّة تطوي صفحتها الأخيرة.

غير أنّ هذا التحوّل، كما يوضّح الفصل الأوّل من الموسوعة الإيطاليّة لتاريخ العلوم الإسلاميّة، لا ينبغي أن يُفهم قطيعةً مفاجئة. فحين أُغلقت الأكاديميّة، لم تُطوَ الفلسفة اليونانيّة معها، بل انتقلت - حرفيًّا - إلى مدارس ومدن جديدة. فلم يكن مصير الفلاسفة السبعة الذين قادهم داماسكيوس، آخر رؤساء الأكاديميّة، إلّا مرحلةً من هذا الانتقال، لا نهايةً له.

اتّجه هؤلاء الفلاسفة، بقيادة داماسكيوس، إلى بلاط كسرى الأوّل أنوشروان، ملك الفرس الساسانيّ (حكم 531-578م). هناك، بعيدًا عن مرسوم جستنيان وأثينا التي أُغلقت أبوابها في وجوههم، لم يتوقّف عملهم الفلسفيّ، بل استمرّوا في تأليف شروحهم الكبرى على مؤلّفات أرسطو - وكأنّ المنفى، لا العاصمة التي طردتهم، هو ما أتاح لفلسفتهم أن تواصل حياتها.

ولم يكن المنفى نهاية القصّة أيضًا. فبعد معاهدة سلامٍ بين الإمبراطوريّتين البيزنطيّة والفارسيّة، عاد بعض الفلاسفة غربًا. أمّا داماسكيوس نفسه، فقد عاد إلى موطنه في حمص السوريّة، حيث واصل عمله الفلسفيّ - لكن في صمت؛ إذ لم يثبت عند الرجوع إلى المصادر العربيّة أنّ أثرًا من هذا العمل المتأخّر وصل إلينا. فالرجل الذي أنقذ الفلسفة اليونانيّة من حظرٍ إمبراطوريٍّ، اختفى بعدها من السجلّ الذي نعرفه. أمّا رفيقه سمبليكيوس، فمصيره محلّ خلافٍ بين الباحثين أنفسهم: هل عاد إلى أثينا، أم استقرّ في حرّان - كما يذهب بعض الباحثين - تلك المدينة الواقعة في الجزيرة، التي سبق لهذا الفصل نفسه أن وثّق بقاءها معقلًا للفلسفة القديمة قرونًا بعد ذلك؟

فقصّة الفلاسفة السبعة ليست قصّة نهاية، على الرغم من بداية أليمة في أثينا. إنّها قصّة بابٍ أُغلق في مكان، وبابٍ آخر - في بلاطٍ فارسيٍّ بعيد - بقي مفتوحًا لهم حين احتاجوا إليه.

المصدر الأصلي: مقتبس ومُعَدّ عن فصل "العلم والفلسفة في العصر الهلنستي المتأخر"، بقلم غيرهارد إندرس (Gerhard Endress)، ضمن المجلد الثالث من موسوعة "تاريخ العلم"، الصادرة عن معهد الموسوعة الإيطالية (تريكاني) 2002، بإشراف رشدي راشد. وهو جزء من الموسوعة التي تُعِدّ دار الرّبّان للنشر حاليًا لترجمتها ونشرها بالعربية كاملة.

https://arsco.org/